يقدم لكم

بسم الله الرحمن الرحيم

جمال استعمال المثنى و الملحقات بها

د. فرهاد ديوسالار

عضو هيأة التدريس بجامعة أزاد الإسلامية – كرج

Email: divsalarf @ yahoo.com

{{{الموجز}}}

يهدف هذا المقال إلى جمال استعمال المثنى و الملحقات بها الذى يكون لإستعمالها فى هذين الأسلوبين- التطريز من محسنات علم البديع و التوشيع- جمال و أثر هام. و يتلذذ الإنسان بقراءة هذه الأبيات المتضمنة المثنى و الملحقات بها. عندما ينظر الإنسان إلى هذه اللغة التي لا تدانيها لغة يدرک أن أسلافنا كيف تفننوا في صنعها و لا يكتمل هذا الشعور إلا بمعرف المعاني المذكورة فى طيّها، لئلا يلتبس عليه معنى.

الكلمات الدليلية: المثنى، الملحقات بالمثنى، علم البديع، التطريز، التوشيع.

{{{المقدمة}}}

بادىء ذى بدء قبل أن ندخل صلب الموضوع و نتكلم عن التطريز و التوشيع و جمال استعمال المثنى فيهما، و الأشعار الجميلة التى تتضمنهما، فلابد من شرح لغوى و اصطلاحى لعلم البديع و الملحق بالمثنى.

إن الشرط في المثنى أن يكون صالحا للتجريد من الزيادة المذكورة و عطف مفرده عليه، مثلا: الرجلان فإنّه يصلح للتجريد، فيقال: الرجل و للعطف فيقال: الرجل و الرجل [[مبادئ العربية، الشرتونى، ج٤، ص81]]. و لذلك لا نعتبر ألفاظا مثل "اثنان" و "القمران" مثنى لعدم التجريد في الأول و عدم العطف على مثله في الثاني؛ لأنّه للشمس و القمر و نعتبرهما من الألفاظ الملحقة بالمثنى [[نفس المرجع]]. و القمران يعطف عليه مغايره لا مثله و هذا ما هو يعرف بالتغليب [[السيوطي، الهمع، ص14]]. و هناك ألفاظ موضوعة لاثنين نحو "شفْع" يعني الزوج (و هو يعرب بالحركات). "كلا" و " كلتا" لفظهما مفرد و معناهما مثنى و لذلك يجوز إفراد الضمير العائد إليهما على اعتبار اللفظ، كما يجوز تثنيته على اعتبار المعنى و يقال لهما شبه المثنى و هو كلّ ما يصدق عليه حدّ المثنى [[للمزيد من الإطلاع لاحظ مقال: الألفاظ الداخلة في المثنى للتغليب، فرهاد ديوسالار، مجلة ديوان العرب، 25 تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٦م]].

{{{البديع في اللغة:}}}

هو الشيء المُنشَأ و المخترَع الموجَد على غير مثال سابق، وذلك من بدَعَ الشيء و أبدعه أى اخترعه لا على مثال. و البديع فعيل بمعنى مفعل أو مفعول و قد يأتى بمعنى اسم الفاعل ولذلك قال الله عز و جل عن ذاته بديع السموات و الأرض ... أى مُبدعِها؛ لأنه خالق السموات و الأرض على غير مثال سابق. وقد أخذ علم البديع هذا الاسم؛ لأن الأدباء يتنافسون في ابتداع الصور البديعية و المحسنات اللفظية و المعنوية والزخارف ويظل هذا العمل مقبولاً ومشرقاً ما دام في خدمة المعنى صادراً عن الأديب بغيرتكلف أو تصنع أما إذا طغى اللفظ على المعنى وأصبح تزيين اللفظ هو الهدف كما حدث في العصور المتأخره، فهو عيب من العيوب للأديب وسيئة من سيئات التعبير.

أما فى الاصطلاح فعلم البديع؛ علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه و مطابقته على مقتضى الحال و فصاحته و وضوح الدلالة، وهذه الوجوه ضربان: ضرب يرجع إلى المعنى فوجوه التحسين فى هذه الحالة معنوية و المحسنات راجعة إلى المعنى فالذات، وضرب يرجع إلى اللفظ و هذه المحسنات ترجع إلى اللفظ بالإصالة و إن حسنت المعنى تبعا.

أول من صنف في هذه الصنعة عبد الله بن المعتز العباسى ألف كتاباً سماه كتاب البديع، وذكر أن اسم البديع، اسم لفنون من الشعر يذكرها الشعراء و نقاد المتأخرين بينهم، فأما العلماء باللغة

والشعر القديم، فلا يعرفون هذا الاسم، ولا يدرون ما هو. و بعده جاء قدامة بن جعفر و أبو هلال العسكرى و ابن الرشيق القيروانى و غيرهم.

{{{التطريز لغة و اصطلاحاً:}}}

جاء فى لسان العرب للعلامة ابن منظور(630 - 711 هـ) تحت مادة طرز: الطِّرْزُ: البَزُّ والهيئة. والطِّرْز: بيت إلى الطول، فارسي، وقيل: هو البيت الصَّيْفِيُّ. والطِّرْز والطِّراز: الجيّد من كل شيء. والطِّراز: عَلَمُ الثوب، فارسيّ معرّب. وقد طَرَّزَ الثوبَ، فهو مُطرَّز. ابن الأَعرابي: الطَّرْز والطِّرز الشَّكْل، يقال: هذا طِرْزُ هذا أَي شكله، ويقال للرجل إذا تكلم بشيء جيد استنباطاً و قَرِيحَةً: هذا من طِرازِه. و روي عن صَفِيَّةَ، رضي الله عنها، أَنها قالت لزوجات النبي، صلى الله عليه وسلم: مَنْ فيكُنَّ مِثْلي؟ أَبي نبيّ وعمّي نبي و زوجي نبي، و كان، صلى الله عليه وسلم، علمها لِتَقُولَ ذلك، فقالت لها عائشة، رضي الله عنها: ليس هذا من طِرازك أَي من نَفْسِك وقَرِيحَتِك. ابن الأَعرابي: الطَّرز الدفع باللَّكْز، يقال: طَرَزَه طَرْزاً إذا دفعه.

و هكذا مذكور في تهذيب اللغة للأزهرى (282- 370 هـ): قال الليث: الطِّراز معروف، وهو الموضع الذي تُنسج فيه الثياب الجياد. وقال غيره: الطِّراز مُعرَّب، وأصله التقدير المستوي بالفارسية، جُعلت التاء طاء، وقد جاء في الشعر العربي، قال حسان يمدح قوماً:

بِيضُ الوجوهِ من الطِّرازِ الأوّلِ

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي قال: الطَّرْز: الشَّكل، يقال: هذا طِرزُ هذا أي شكله.

كما ذكره الزبيدي (1145- 1205 هـ) صاحب تاج العروس من جواهر القاموس: الطِّرْز، بالكسر: البَزُّ والهَيْئة. وقال ابْن الأَعْرابِيّ: الطِّرْزُ: الشَّكل. يقال: هذا طِرْزُ هذا، أي شَكْلُه. والطِّراز، بالكسر: عَلَمُ الثَّوبِ، فارسيٌّ مُعرَّب. قيل: أصله تِراز، وهو التقدير المُستوي بالفارسيّة، جُعِلَت التاءُ طاءً. قد طَرَّزَه تَطْرِيزاً: أعلمه، فَتَطَرَّزَ، وهو مُطَرَّز. الطِّرازُ أيضاً: النَّمَط، وبه فَسَّر الجَوْهَرِيّ الأَعْرابِيّ: الطِّراز: الشَّكل، يقال أيضاً: طَرِزَ الرجلُ، إذا حَسُنَ خُلُقُه بعد إساءَةٍ. وهو مَجاز. طَرِزَ الرجلُ في المَلبَس: تأنَّق، وكذا في المَطْعَم، فلم يَلْبَس إلا فاخراً ولم يَأْكُل إلاّ طيِّباً، كَتَطَرَّسَ، فيهما، وهو مَجاز، ذكره الزَّمَخْشَرِيّ والصَّاغانِيّ. ومِمّا يُسْتَدْرَك عليه:الطِّرْز: بَيْتٌ إلى الطُّول، فارسيٌّ مُعرَّب. والطِّرْز والطِّراز: الجيِّد من كلّ شيءٍ. ويقال للوجه المَليح: هو مما عُمِلَ في طِرازِ الله، وهذا الكلامُ الحسَنُ من طِرازِ فلانٍ. وهو من الطِّراز الأوّل، وكلُّ ذلك مَجاز. ويقال: ما أَحْسَنَ طَرْزَ فلانٍ. وطَرْزُه طَرْزٌ حَسَنٌ، وهو طريقَتُه في عَمَلِه. وهو مَجاز. ويقال للرجل إذا تكلَّمَ بشيءٍ جيِّدٍ اسْتِنباطاً وقَريحةً: هذا من طِرازِه، نقله الصَّاغانِيّ. قلت: ومنه ما رُوِيَ عن صَفِيَّةَ أنها قالت لزَوْجات النبيّ صلّى الله عليه وسلَّم: مَن فِيكُنَّ مِثلي؟ أبي نَبِيٌّ وعَمّي نَبِيٌّ، وزَوجي نَبِيّ. وكان صلّى الله عليه وسلَّم علَّمها لتقول ذلك.

ورد في الصّحّاح في اللغة للجوهري (المتوفي 393 هـ): الطِرازُ: عَلَمُ الثَوب، فارسيٌّ معرب. وقد طرّز الثوبُ فهو مطرّز. والطِرازُ الهيئة. قال حسان بن ثابت:

شمُّ الأنوفِ من الطِراز الأوَّلِ بيض الوجوهِ كريمةٌ أحسابهم

أي من النمط الأول

ذكر الزمخشري (467- 538 هـ) في كتابه أساس البلاغة تحت مادة طرز: عمل هذا الثوب في طراز فلان و هو الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجياد. ومن المجاز: قولهم للوجه المليح: هو مما عمل في طراز الله تعالى، وهذا الكلام الحسن من طراز فلان، وهو من الطراز الأول. وما أحسن طرز فلان، وطرزه طرز حسن وهو طريقته في عمله و نيقته. قال: فاخترت من جيد كل طرز و هو يتطرز في اللباس ويتطرس في المطعم أي يتنوق فلا يلبس إلا فاخراً ولا يأكل إلا طيباً. وطرز ثوبه: علمه.

{{{أما التطريز فى الاصطلاح:}}}

فقد عرفه أحمد الهاشمى فى كتابه جواهرالأدب: هو أن يكون صدر النثر أو الشعر مشتملا على ثلاثة أسماء مختلفة المعانى و يكون العجز صفة متكررة بلفظ واحد. كقول القائل:

وتسقيني وتشرب من رحيق خليقٍ أن يُلقب بالخلوقِ

كأن الكأس في يدها و فيها عقيق في عقيق في عقيقٍ [[ص 410]]

و عرفه صاحب كتاب الصناعتين أبو هلال العسكري [[في الفصل الرابع و الثلاثين، ص 289]] فهو أن يقع في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الوزن، فيكون فيها كالطّراز في الثوب، وهذا النوع قليل في الشعر كما ذكره أبو هلال العسكرى. ويضرب على ذلك مثلاً حسناً هو قول أحمد بن أبي طاهر الذى هو أحسن ما جاء فيه:

إذا أبو قاسمٍ جادتْ لنا يدُه لم يحمَد الأجودان: البحرُ والمطر

وإن أضاءتْ لنا أنوارُ غرّته تضاءل الأنوران: الشمس والقمرُ

وإن مضى رأيه أو حدّ عزمته تأخر الماضيان: السيفُ والقدر

من لم يكن حذراً من حدِّ صولته لم يدرِ ما المزعجان: الخوفُ والحذَر

فالتطريز في قوله: الأجودان، والأنوران، والماضيان، والمزعجان.

و منه ذكر صاحب التذكرة الحمدونية، ابن حمدون هذا لأبى الحسين بن أبي البغل البغدادي يمدح أبا القاسم ابن وهب من البسيط: [[الباب السابع عشر في المدح والثناء، ج4 ، ص 440]]

إذا أبو قاسمٍ جادت لنا يده لم يحمد الأجودان: البحر والمطر

وإن أضاء لنا نور بغرته تضاءل النيران: الشمس والقمر

وإن بدا رأيه أو حد عزمته تأخر الماضيان: السيف والقدر

ينال بالظن ما كان اليقين به والشاهدان عليه: العين والأثر
كأنه وزمام الدهر في يده يدري عواقب ما يأتي وما يذر

معنى البيت الرابع مأخوذ من بيت أنشده أبو محلم: من الطويل.

برى عاقبات الرأي والرأي مقبلٌ كأن له في اليوم عيناً على غد

قال صاحب الكتاب: ومن جيد ما سمعته لمحدث وأظنه لابن الرومي في عبيد الله بن سليمان بن وهب، و رأيت من يرويه لأبي الحسين أحمد بن محمد الكاتب: [[العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، ج1، ص 157]]

إذا أبو قاسم جادت لنا يده لم يحمد الأجودان: البحر والمطر
ولو أضاءت لنا أنوار غرته تضاءل النيران: الشمس والقمر
وإن مضى رأيه أو حد عزمته تأخر الماضيان: السيف والقدر
من لم يبت حذراً من خوف سطوته لم يدر ما المزعجان: الخوف والحذر
ينال بالظن ما يعيا العيان به والشاهدان عليه العين والأثر
كأنه و زمام الدهر في يده يرى عواقب ما يأتي وما يذر

ورد صاحب كتاب تحرير التحبيرأن التطريز[[ابن أبي الأصبع، ج1 ، ص 59]]هو أن يبتدئ المتكلم أو الشاعر بذكر جمل من الذات غير مفصلة، ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب العدد الذي قدره في تلك الجملة الأولى، فتكون الذوات في كل جملة متعددة تقديراً والجمل متعددة لفظاً والصفة الواحدة المخبر بها عن تلك الذوات متعددة لفظاً، وعدد الجمل التي وصفت بها الذوات لأعدد الذوات عدد تكرار واتحاد لا تعداد تغير، وذلك كقول ابن الرومي:

أموركم بني خاقان عندي عجاب في عجاب في عجاب
قرون في رؤوس في وجوه صلاب في صلاب في صلاب

وكقوله وافر:

وتسقيني وتشرب من رحيق خليق أن يلقب بالخلوق
كأن الكأس في يده وفيها عقيق في عقيق في عقيق

ومثل ذلك قول القائل، وأنا أشك هل هو لأبي نواس أو ابن المعتز وافر:

فثوبي والمدام ولون خدي شقيق في شقيق في شقيق

و ذكر أسامة بن منقذ عن قول صاحب الصناعتين [[البديع في نقد الشعر، ج1، ص 13 و ما بعدها]] هو أن تأتي في الأبيات مواضع متقابلة، فجيء في القصيدة أو في القطعة كأنه طراز، مثل قول أبي تمام:

أعوامُ وصلٍ كاد ينسى طيبها ذكر النوى، فكأنها أيامُ

ثم انبرتْ أيام هجر أعقبت بأسىً فخلنا أنها أعوامُ
ثم انقضت تلك السنونُ وأهلها فكأنها وكأنهم أحلامُ

ومنه هذا الشعر الجميل لأبي تمام يتضمن ما يسمى التطريز في البديع:

أمسي وأصبحُ مــن هجرانكم وصِــباً يـرثي لي المشفقانِ: الأهلُ، والولـدُ
قد خدَّدَ الــدمعُ خــدِّي من تذكُّركُـمْ واعتادني المُضنيان: الوجدُ، والكمدُ
قد غاب عن مقلتي نــومي ونافــرها وخاننـي المُسعدان: الصبرُ، والجلدُ

لو رُمتَ إحصاءَ ما بي من جوىً وضنىً لم يُحصِهِ المُحصيان: الوزنُ، والعددُ
أو رمتَ من ضعفِ جسمي حملَ خردلةٍ ما ضمَّها الأقويان: الزندُ، والعضـدُ
أستـودع اللهَ مـن أهـواهُ كيـف جرت بشخـصنا الحالتان: القربُ، والبعـدُ
لا غــرْوَ للــدَّمع أن تجري غوارِبُــهُ وتحتــه المُضرمان: القلبُ، والكبـدُ
كأنمــا مهــجتــي شلــوٌ بمسْبعــةٍ ينتابها الضَّاريان: الذئبُ، والأســدُ
لم يبقَ غيرُ خَفيِّ الروحِ في جســدي فــداؤك الباقيــان: الروحُ، والجسدُ
إني لأحســدُ في العشاقِ مصطبــراً وحسبُكَ القاتلان: الحبُّ، والحـسدُ

ومنه ما مدح به أبو القاسم:

وإن أضاءت لنا أنوارُ غرته تضاءل الأنوران: الشمسُ، والقمرُ
وإن مضى رأيه أو جد عزمته تأخر الماضيان: السيفُ، والقدرُ
من لم يبت حذراً من خوف سطوته لم يدر ما المزعجان: الخوفُ، والحذرُ

وقال ابن حيدرة:

انى يفاخرَ او يطاولَ من اضحى يقرّ لفخرهِ الفخرَ
من سار والتوفيقَ صحبتهَ والواقيان: الجدَ، والنصرَ
واقام والاقيال تخدمه والماضيان: السيفَ، والامرَ
واني وجلتها تدين له والواجبان: الحمد، والشكرَ
صدقت فراستهَ ومولده والمنذران: الفالَ، والزجرَ
وغدا ودون محله زحلَ والنيران: الشمس، والبدرَ
واقر عجزا عن سماحته الاجودان: الغيث، والبحرَ
نشرت فضائله مواهبه والسائران: النظم، والنثر
تغنيه في الاعداء هيبتهَ لا المتعبان: الكيد، والمكرَ
متورع تنهاه همتهَ والزاجران: الدينَ، والذكر

تلهيه قبلته ومصحفه لا المصبيان: اللهو، والخمر
ويزيده شرفا تواضعه لا الفاتنان: التيهَ، والكبرَ
شكرت لسيرته رعيته والامنان: البدو، والحضرَ
يا من له دامت سعادته والغادران: الدهرَ، والعمرَ
خان العبيدَ غداة بينهمُ العدتان: العزم، والصبرَ
واطارَ نومهم تخلفهم والموقظان: الهمَّ، والفكرَ
واعتادهم شوقَ يؤنبهمْ والمزعجان: الشوقَ، والذكرَ
وسعى بهم صرفَ سعى لهمُ والدهرَ فيه: الخير، والشرّ

و هكذا ورده لسان الدين بن الخطيب فى باب التطريز: [[الإحاطه في أخبار غرناطة، ج1 ، ص471]] و التطريزهو ذكر جمل من الذَّوات غير مفصَّلة، ثمَّ يخبر عنها بصفات مكرَّرة بِحسب العدد، ومنه للبحتري وقال يمدح المتو كل: [[ج1، ص126]]

شغلان من عذل ومن تفنيد و رسيس حب طارف و تليد
في حلتي وشي و حبر فالتقى وشيان: وشي ربى و وشي برود
وسفرن فامتلأت خدودٌ زانها وردان: وردُ جنىً، و وردُ خدودِ
فمتى يساعدنا الوصال، ودهرنا يومان: يومُ نوىً، ويومُ صدودِ

و فى هذا المجال أبيات رائعة فى غاية الجمال لأبى القاسم. [[صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم ابن علي بن شريف النفري من أهل رندة، يكنى أبا الطيب. قال ابن الزبير، شاعر مجيد في المدح و الغزل، وغير ذلك. وعنده مشاركة في الحساب والفرايض و نظم في ذلك. وله تواليف أدبية، وقصايد زهدية، وجزء على حديث جبريل عليه السلام، وغير ذلك مما روى عنه. وقال ابن عبد الملك، كان خاتمة الأدباء بالأندلس، بارع التصرف في منظوم الكلام ومنثوره، فقيهاً حافظاً، فرضيا، متفنناً في معارف شتى، نبيل المقاصد، متواضعاً، مقتصداً في أحواله. وله مقامات بديعة في أغراض شتى، وكلامه نظما و نثرا، مدون. ألف جزءا على حديث جبريل، وتصنيفا في الفرايض وأعمالها، وآخر في العروض، وآخر في صنعة الشعر سماه الوافي في علم القوافي وله كتاب كبير سماه روضة الأنس، ونزهة النفس]] ومن نزعاته العجيبة قوله، وقد سبق إلى غرضه غيره:

يا طلعة الشمس إلا إنه قمر أما هواك فلا يبقى ولا يذر
كيف التخلص من عينيك لي ومتى وفيهما القاتلان الغنج والحور
وكيف يسلى فؤادي عن صبابته ولو نهى الناهيان الشيب والكبر

أنت المنا والمنايا فيك قد جمعت وعندك الحالتان النفع والضرر

ولي من الشوق ما لا دواء له ومنك لي الشافيان القرب والنظر

وفي وصالك ما أبقى به رمقي لو ساعد المسعدان الذكر والقدر

وكان طيف خيال منك يقنعني لو يذهب المانعان الدمع والسهر

يا نابياً لم يكن إلا ليملكني من بعده المهلكان الغم والغير

ما غبت إلا وغاب الجنس أجمعه واستوحش المؤنسان السمع والبصر

بما تكن ضلوعي في هواك بمن يعنو له الساجدان النجم والشجر

إدرك بقية نفس لست مدركها إذا مضى الهاديان العين والأثر

ودل حيرة مهجور بلا سبب يبكي له القاسيان الدهر والحجر

وإن أبيت فلي من ليس يسلمني إذا نبا المذهبان الورد والصدر

مؤيداً لملك بالآراء يحكمها في ضمنها المبهجان اليمن والظفر

من كالأمير أبى عبد الآله إذا ما خانت القدمان البيض والسمر

الواهب الخيل آلافا وفارسها إذا استوى المهطعان الصر والصبر

والمشبه الليث في بأس وفي خطر ونعمت الحليتان البأس والخفر

تأمن الناس في أيامه ومشوا كما مشى الصاحبان الشاة والنمر

وزال ما كان من خوف ومن حذر فما ير الدايلان الخوف والحذر

رأيت منه الذي كنت أسمعه وحبذا الطيبان الخبر والخبر

ما شيت من شيم عليا ومن شيم كأنها الرايقان الظل والزهر

ومنا أردت من إحسان ومن كرم ينسى به الأجودان البحر والمطر

وغرة يتلألأ من سماحتها كأنها النهران الشمس والقمر

إيه فلولا دواع من محبته لم يسهل الأصعبان البين والخطر

نأيت عنه اضطرارا ثم عدت له كما اقتضى المبرمان الحل والسفر
فإن قضى الله أن يقضي به أملي فحسبي المحسبان الظل والثمر
ولست أبعد إذ والحال متسع أن يبلغ الغايبان السؤل والوطر

الإحاطه في أخبار غرناطة، لسان الدين بن خطيب، ج1، ص 471]]
ولما تولى أبو القاسم عبد الله سليمان بن وهب الوزارة في عهد المعتضد مدحه ابن الرومي بقصيدة جاء فيها قوله :

إذا أبـــو القاسم جـــادت يـــداه لم يحمد الأجودان: البحر والمـــطر
وإن مضى رأيـــه أو حـــد عزمته تـــأخر الماضيان: الســـيف والـقدر
وإن أضـــاءت لنـــا أنـــوار غرتـه تضـــاءل النيران: الشمس والقمـــر
من لم يبتْ حذِراً من خوفِ سطوته لم يدرِ ما المُزعجان الخوف والحذر

[[ديوان، ج3 ، ص 2283]]
هذه الأبيات مذكورة لابن طيفور أيضا.
وتسقيني وتشرب من رحيق خليق أن يشبه بالخلوق
كأن الكأس في يدها و فيها عقيق في عقيق في عقيق
[[ورد دون عزو في "تحرير التَّحبير"ص 315، و"حسن التَّوسُّل"ص 274، و"خزانة الأدب"؛ لابن حجَّة 305/2، و"نهاية الأرب" 148/7. ورد في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري مسبوقًا بقوله: 307/1، فلعلَّه للعسكري، وقد جاءت رواية ديوان المعاني:
كَأَنَّ الكَأْسَ مِنْ يَدِهِ وَفِيهِ عَقِيقٌ فِي عَقِيقٍ فِي عَقِيقِ]]
ومثل ذلك قول القائل، وأنا أشك هل هو لأبي نواس أو ابن المعتز وافر:
فَثَوْبِي وَالمُدَامُ وَلَوْنُ خَدِّي شَقِيقٌ فِي شَقِيقٍ فِي شَقِيقِ
[[و قد ورد في حسن التَّوسُّل دون عزو، وقال ابنُ أبي الإصبع حين ذكره في "تَحرير التحبير" ص315 " ذكره ابن حجَّة في "خزانة الأدب" (2/ 305) منسوبًا لابن المعتز، و ورد في مقدمة "ديوان أبي نواس" (ص25) نشر محمد فريد، و ورد عن النَّابلسي في "نفحات الأزْهار" (ص 258) منسوبًا للمهلّبي الوزير. وَرد في ديوان أبي العبَّاس أحمد بن محمد الدَّارمي (399هـ) بيتٌ شبيه به:

فَثَوْبِي وَالمُدَامُ وَلَوْنُ خَدِّي قَرِيبٌ مِنْ قَرِيبٍ مِنْ قَرِيبِ

راجع "حسن التوسُّل"، حاشية المحقق ص 274]]

ونحو:

أُمُورُكُمُ بَنِيِ خَاقَانَ عِنْدِي عُجَابٌ فِي عُجَابٍ فِي عُجَابِ
قُرُونٌ فِي رُؤُوسٍ فِي وُجُوهٍ صِلابٌ فِي صِلابٍ فِي صِلابِ

[[البيتان لابن الرومي. انظُر: ديوانه (1/ 411)، و "تحرير التحبير" (ص314)، و"حسن التوسل"(ص 274) و"خزانة الأدب"؛ لابن حجة(305/2)، و"نهاية الأرب" (148/7)]].

وقال العسكري: وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبي طاهر وقال: لو استعمل الإنصاف لكان هذا أحسن مدح قاله متقدم و متأخر و هو:

إذا أبو أحمدٍ جادت لنا يده لم يحمد الأجودان البحر والمطر
وإن أضأت لنا أنوارغرته تضاءل النيران الشمس والقمر
وإن مضى رأيه أو جد عزمته تأخر الماضيان السيف والقدر
من لم يكن حذراً من حد صولته لم يدر ما المزعجان الخوف والحذر
حلوٌ إذا أنت لم تبعث مرارته فإن أمر فحلوٌ عنده الصبر
سهل الخلائق إلا أنه خشنٌ لين المهرة إلا أنه حجر
لا حيةٌ ذكرٌ في صولته إن صال يوما ولا الصمصامة الذكر
إذا الرجال طغت آراؤهم وعموا بالأمر رد إليه الرأي والنظر
الجود منع عيانٌ لا ارتياب به إذ جود كل جوادٍ عنده خبر

وقال أبو الحسن بن أبي البغل البغدادي يمدح أبا القاسم بن وهب وقد تقدم ذكر بعضها لابن أبي طاهر:

وإن أضأت لنا أنوار غرته تضاءل النيران الشمس والقمر
وإن بدا رأيه أو جد عزمته تأخر الماضيان السيف والقدر
ينال بالظن ما كان اليقين به والشاهدان عليه العين والأثر
كأنه وزمام الدهر في يده يدري عواقب ما يأتي وما يذر

ويرغب إلى الله أن يكلأه بحفظه في سفره ومقامه ، ويجزل حظه من فضله و إنعامه . و وصلت منه مكاتبةٌ إلى الملك الناصر صلاح الدين في صفر سنة اثنتين وسبعين فقال لي القاضي الفاضل: خذها و أوردها في الخريدة والجريدة وهي:

إذا أبو قاسم جادت لنا يده ... لم يحمد الأجودان البحر و المطر

لا زِلتَ يا مَلِكَ الإسلام في نِعَمٍ ... قرينُها المُسْعِدانِ : النَّصْر والظَّفَرُ

تُرْدي الأعادي وتَسْتَصْفي ممالكَهمْ ... وعونُك الماضيانِ : السَّيْفُ والقَدَر

فأنت إسكندرُ الدُّنْيا ، بنُورِك قد ... تضاءل المُظْلمان : الظّلم والضَّرر

أعدْتَ للدَّهر أيّام الشباب وقد ... أظلّه المُهْرِمان : الشّيْبُ والكِبَر

وجاد غَيْثُ نَداك المسلمين فمِنْ ... سحابه المُغْنِيان : الدُّرُّ والبِدَر

وسِرْتَ سِيرةَ عَدْلٍ في الأنام كما ... قضى به الصَّادقان : الشَّرْع والسُّوَر

فَفُقْ بنصرٍ على الكفار إنّهم ... يُرْديهمُ المُهْلِكان : الغَدْرُ والأشرُ

ثَناهُمُ إذْ رأوْا إقبالَ مُلْكهمُ ... إليهمُ المُزْعِجان : الخَوْف والحَذَر

وما الفِرار بمنُجْيهم وخَلّفَهُمُ ... مِنْ بأسه المُدْرِكان : السُّمْرُ والبُتُر

وسوف يعفو غداً منهم بصارِمه ... وجيشِه المُخْبِران : العَيْنُ والأثَر

ولو رَقُوا في ذُرى ثَهْلانَ أسْلَمَهُمْ ... لسيفه العاصمان : الحِصْنُ والوَزَر

قضى بتفضيله عمَّنْ تقدّمه ... ما اسْتُودِع المُخبران : الكُتْبُ والسِّيَر

عَدْلٌ به أمِنَ الشاءُ المُهَمَّل أن ... يروعَه الضّاريان : الذئبُ والنَّمِر

وَجُودُ كَفٍّ إذا انْهَلّتْ تفرَّقَ في ... تيّارها الزاخِران : البحرُ والمطر

مكارمٌ جُمِعَتْ فيه ، توافَقَ في ... تَفْضيلها الأكرمان : الخُبْرُ والخَبَر

فاسلم وعِشْ وابقَ للإسلام ما جَرَتِ الْأ ... فلاك والنَّيِّران : الشمسُ والقمر

بنَجْوَةٍ من صورف الدهر يقصُر عن ... مَنالها المُفْسدان : الخَطْبُ والغِيرَ

[[خريدة القصر و جريدة العصر، العماد الاصفهاني، ج1 ، ص443]]

وهكذا أورده النويرى: أما التطريز- فهو أن يبتدئ الشاعر بذكر جمل من الذوات غير مفصلة ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب تعداد جمل تلك الذوات تعداد تكرار واتحاد، لا تعداد تغاير، كقول ابن الرومي:

أموركمو بني خاقان عندي عجاب في عجاب في عجاب

قرون في رءوس في وجوه صلاب في صلاب في صلاب

وكقوله:

وتسقيني وتشرب من رحيق خليق أن يشبه بالخلوق

كأن الكأس في يدها وفيها عقيق في عقيق في عقيق[[نهاية الأرب في فنون الأدب، ج7، ص 124]]

كما ذكر صاحب كتاب نفحة الريحانة و رشحة طلاء الحانة، المحبي، [[ج1 ، ص 357]] حيث يقول: "ومما يناسب ذكره في هذا المحل، وهو الغاية في بابه، قول الشهاب في السلطان مراد بن أحمد، حين غزا العجم:

غــزا الفُرْسَ فــي جيشٍ أطــلَّ علــيهمُ بما لم يُشاهَدْ في القرونِ الأوائلِ

لــو فاخــرتْه مــلوكُ الأرضِ قاطــبــةً ما نالَهم من معانِي فخرِه العُشُرُ

هل يسْتوي الشمسُ والمصباحُ جُنْحَ دُجىً ويسْتوي الجاريان البحرُ والنَّهَرُ

بَــدا له في سمــاء المــجد نُــورُ هُدىً من دونهِ النَّيِّرانِ الشمسُ والقمرُ

وأصبــح المُلك محروسَ الجَنَابِ وقــد وافَى به المُسْعدانِ القَدْرُ والقَــدَرُ

استعمال المثنى على هذا الأسلوب كثير، و أجود ما وقع إلي منه قول الشنتريني، من بلدة غرب الأندلس:

يا مَن يُصِيخُ إلى دَاعي السِّفَاهِ وقــد نادَى بــه النَّاعِيــان الشّيْبُ والكِبَــرُ

إن كنتَ لا تسمعُ الذِّكْرَى ففي مَ ثَوَى في رأسِك الواعِيان السمعُ والبصرُ

ليس الأصَمُّ ولا الأعمى سوى رجلٍ لــم يهْدِه الهادِيــان العَيْنُ والأثَــرُ

لا الدهرُ يبْقَى ولا الدنيا ولا الفَلَكُ الّـ أعْلَى ولا النَّيِّران الشمسُ والقمرُ

ليَــــرْحلَنَّ عن الدنيا و إن كــــرِها فراقَها الثّاويان البدوُ والحضــرُ

تتمة القصيدة:

عَطفاً على عبدِك المَدَّاح ناظمِها فقلبُه من صُروفِ الدهرِ منكسِرُ

لا زال مُلكك دَوْرِيَّ السَّعُودِ فما يُرَى له آخِرٌ في الدهرِ يُنتظَرُ
بدولةٍ تُخلِق الأيامَ جِدَّتُها ما أزْهرتْ في الدياجي الأنجُمُ الزُّهُرُ

و ذكر أبياتا من حنيف الدين بن عبد الرحمن المنيف حيث يعتبرها من بديع أشعاره:

أمْسي وأصبح من تَذْكارِكم وَصِبَا يرْثِي له المُشْفِقان الأهلُ والولدُ
قد خدَّد الدمعُ خدِّي من تذكَّرِكمْ واعْتادَنِي المُضْنِيان الوجدُ والكَمَدُ
وغاب عن مُقْلتِي نومِي لغَيْبتِكم وخانَنِي المُسْعِدان الصبرُ والجَلَدُ
لا غَرْوَ للدمعِ أن تجري غَوارِبُه وتحته المُظْلِمان القلبُ والكَبِدُ
كأنما مُهْجتي شِلوٌ بمَسْبَعةٍ ينْتابُها الضَّارِيان الذئبُ والأسدُ
لم يبْق غيرُ خَفِيِّ الرُّوحِ في جسدِي فِدىً لك الباقيانِ الرُّوحُ والجسدُ

[[نفحة الريحانة و رشحة طلاء الحانة، للمحبى، ج2 ، ص 28]]

استعمال المثنى على هذا الأسلوب كثير وجميل، وهنا يذكر أجود ما وقع إلي منه قول عمر الأنسى:

تقارن النيّران الشَمس وَالقَمَرُ فَأشرَق الطالعان السَعد وَالظفرُ
وَقامَ داعي الهَنا يَدعو السُرور لَنا يَزفّه المطربان النايُ وَالوَتَرُ
رَعى لَيالي بِالبُشرى قَدِ اِبتَهجَت فَاِستبشر العالَمانِ الروح وَالبَشَرُ
تَتلو المَثاني بِها الأقمار مُشرِقَة فَيطرب الأفضلان السَمع وَالبَصَرُ
سَقى الحِمى وَحماهُ الله غادية يروى بِها المعشران البَدو وَالحَضَرُ
تِلكَ المَنازل ما زالَت مَطالعها يَهفو لَها التائقان القَلب وَالنَظَرُ
رِياض أنس إذا غَنَّت بَلابلها يسبّح الساجِدان النجم وَالشَجَرُ
راقَت وَرقّت على صَفوٍ مَناهلها حَتّى اِنتَفى الشائِبان الهمّ وَالكَدَرُ
فَلا سرت عَن رُبوع الفَضل سارية أو تحمد الغايتان الوِرد وَالصَدرُ
فَلا سرت عَن رُبوع الفَضل سارية أو تحمد الغايتان الوِرد وَالصَدرُ
وَلا اِنبَرَت أغصُن الأفراح يانِعَةً يَزهو بِها الطيّبان النورُ وَالثَمَرُ

وَلا تَقضّت لَيالي الأنس في مَلأٍ يُلفى بِها المؤنسان اللَهو وَالسَمَرُ
جَعَلت تِذكارها لي في العُلى غَزَلاً مَحَلّه الرتبتان المَجد وَالخَطَرُ
فَلا مُغازلة الغزلان تَمنعني عَن بيضها الدَولَتان البيض وَالسمرُ
أسري فَأستطلع السرّ المَصون فَلا يَصدُّني القاتلان الخَوف وَالحَذَرُ
نِعمَ الجسارة كانَ الفَوز غايَتَها وَبئست الغايتان الجُبن وَالخورُ
لا أعشق المرد أهواها وَيُهلكني مِن أجلِها المرديان السُهد وَالسَهَرُ
وَإِنَّما العَين تَستَغني بِغانيةٍ مِنها حَلا المطلبان العين وَالأَثَرُ
بَدَت لَنا بَين أَترابٍ تَرائبها خَفيرها الحارِسان اللَحظ وَالخَفَرُ
عَين مِن العرب في أجفانِها خزر هامَ الفَريقان فيهِ الترك وَالخَزَرُ
مَن لي بِعَقلي أن يَصحو فَأرشده وَحَوله الساحِران الغنج وَالحوَرُ
مِن كُلّ غالية تَزهو بِغاليةٍ فَيرخص الغاليان المال وَالعمرُ
شَمس عَلى غُصنِ بانٍ في كَثيب نقيً بِها زَها الداجيان اللَيل وَالشعرُ
وَربّ أحوَر مَعشوق الدَلال بِهِ قَد حارَت الثَقلان الجنّ وَالبَشَرُ
أَشكو فأسكب دَمعي وَهوَ مُبتسم فَيجمع الساهِران البَرق وَالمَطَرُ
رِفقاً فَديتك يا ريم الصَريم فَقَد أَردانيَ الصارِمان اللَحظ وَالقَدَرُ
وا لوعتاه من اللاحي وَهجركَ لي بَراني المصميان اليَأس وَالضَجَرُ
مَن لي بِبَيع الهَوى وَالغيّ يَتبعهُ لا رَدَّه المُفسدان الغبن وَالغررُ

[[عمر الأنسي 1237 - 1293 هـ / 1821 - 1876 م. عمر بن محمد ديب بن عرابي الأنسي. شاعر أديب متفقه. في شعره رقة و صنعة. مولده و وفاته ببيروت. تقلب في عدة مناصب آخرها نيابة قضاء صور. له ديوان شعر جمعه ابنه عبد الرحمن وسماه "المورد العذب"]]

و أيضا قول المفتي فتح الله:

رُوحي الفِداءُ لبَدْرٍ لاحَ مُبْتَسِماً في ثَغرِهِ الحاليانِ الخَمْرُ والعَسَلُ

يَبدو فَيَجرَحُني طَوراً وَيَقتُلُني| مِن ذاتِهِ الفاتِكان البيضُ والأسَلُ

وَيَنْثَني مايِساً تيهاً فيَطْعَنُني مِن قَدِّهِ الليّنان العَطفُ وَالميلُ

أبيتُ سَهرانَ طولَ اللّيلِ يُقلِقُني مِنْ هَجرِهِ المضنِيانِ الفِكرُ والأمَلُ

وَأنْحَلَ الجِسمَ مِنّي عِندَ جَفوَتِهِ مِن ذاتِه المُنْحلانِ الخَصرُ والكفَلُ

وَلانَ لي حينَ أبكي في مَحَبَّتِهِ مِنَ الجَفا القاسِيانِ الصخْرُ والجَبَلُ

وَطابَ لي بِالهَوى وَالحبُّ يَلعَبُ بي في عِشقِهِ القاتِلانِ اللّومُ والعذلُ

وَقَدْ حَلا بِنِظامي الدُّرُّ مُنسَبِكاً في حُسْنهِ الأعْذَبانِ المَدحُ والغزَلُ

فَلا وعَينَيْهِ لا أهْوى سِواهُ ولَوْ أصابَني المُتعِبان العِيُّ والمَلَلُ

[[المفتي فتح الله (؟ - 1260 هـ / ؟ - 1844 م) عبد اللطيف بن علي فتح الله. أديب من أهل بيروت، تولى القضاء والإفتاء. له نظم جيد في ديوان و مقامات، و مجموعة شعرية بخطه، ألقاها في صباه سنة 1200هـ في خزانة الرباط]]

وأما التوشيع - فهو مشتق من الوشيعة، وهي الطريقة في البرد ، وكأن الشاعر أهمل البيت كله إلا آخره ، فأتى فيه بطريقة تعد من المحاسن ، وهو عند أهل هذه الصناعة أن يأتي المتكلم أو الشاعر باسم مثنى في حشو العجز، ثم يأتي بعده باسمين مفردين هما عين ذلك المثنى ، يكون الآخر منهما قافية بيته، أو سجعة كلامه كأنهما تفسير لما ثناه ، كقول النبي (صلى الله عليه وسلم) " يشيب ابن آدم وتشب فيه خصلتان: الحرص و طول الأمل " ومن أمثلة ذلك في النظم قول الشاعر:

أمسى وأصبح من تذكاركم وصبا يرثى لي المشفقان الأهل والولد

قد خدد الدمع خدي من تذكركم واعتادني المضنيان الوجد والكمد

وغاب عن مقلتي نومي لغيبتكم وخانني المسعدان الصبر والجلد

لم يبق غير خفي الروح في جسدي فدىً لك الباقيان الروح والجسد .

قال ابن أبي الإصبع: وما بما قلته في هذا الباب من بأس، وهو:

بي محنتان ملام في هوى بهما رثى لي الفاسقان الحب والحجر

لولا الشفيقان من أمنية وأساً أودى بي المرديان الشوق والفكر

قال: ويحسن أن يسمى ما في بيته مطرف التوشيع، إذ وقع المثنى في أول كل بيت وآخره .
[[نهاية الأرب في فنون الأدب، ج7 ، ص 124]]

و نفس هذا ذكره ابن أبي الأصبع [[تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، 59/1]]

إلا أنه أردف قائلا: وهذه الأبيات جيدة، لو لم يقع في البيت الأول منها تقصير عما يجب في مثله على الطريقة المحمودة من طرائق النسيب حيث قال: " يرثي لي المشفقان"، فإنه ليس من الكلام البليغ قول من يشكو محنة قد رثى لي المشفق منها، وأبلغ منه قول من يقول رثى لي العدو ورق لي الصخر، وأشباه ذلك وما بشعر قلته في هذا المعنى من بأس، وهو بسيط

بي محنتان ملام في هوى بهما رثى لي القاسيان: الحب والحجر
لولا الشفيقان من أمنية وأسى أودى بي المرديان: الشوق والفكر

ويحسن أن يسمى ما وقع في بيتي تطريف التوشيع، إذ وقع التوشيع في طرفي كل بيت في أوله وآخره، والله أعلم.
و أخيرا عرفه أحمد الهاشمى أن التوشيع و هو أن يؤتى فى آخر الكلام بمثنى مفسر بمفردين ليرى المعنى فى الصورتين تخرج فيهما من الخفاء المستوحش إلى الظهور المأنوس، نحو: العلم علمان: علم الأبدان، و علم الأديان. [[جواهر البلاغة، ص 229]]

فهرس المراجع و المصادر

-# الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، مصدر الكتاب: الوراق http://www.alwarraq.com

-# الألفاظ الداخلة في المثنى للتغليب، فرهاد ديوسالار، مجلة ديوان العرب، **25** تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٦م.

-# البديع في نقد الشعر، اسامة بن منقذ، مصدر الكتاب: موقع الوراق
-# تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ابن أبي الأصبع، موقع الكتاب: المكتبة الشاملة.
-# جواهر البلاغة فى المعانى و البيان و البديع، أحمد الهاشمى، مكتب الإعلام الإسلامى، الطبعة الثانية، 1410 هـ. ق.

-# خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الأصبهاني مصدر الكتاب: الوراق .
-# ديوان ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جُريج، تحقيق حسين نصار، القاهرة، وزارة الثـقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مطبعة دار الكتب، الطبعة الأولى، 1973-1981م.
-# ديوان البحترى، ضبطه و صححه عبد الرحمن أفندى البرقوقى، الطبعة الأولى، مطبعة هندية بالموسكى بمصر1229- 1911م،
-# العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، مصدر الكتاب: موقع الوراق

-# مبادئ العربية، رشيد الشرتوني، الجزء الرابع، دار العلم، قم.

-# نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق: مفيد قمحية و جماعة، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2004 م.

-# نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، المحبي، مصدر الكتاب: موقع الوراق
-# همع الهوامع شرح جمع الجوامع، السيوطي، منشورات الرضي- زاهدي، قم، 1450هـ.